الحلقة (٢٦)

الباب الثاني من أبواب المعارف العلم

العلم هو النوع الثاني من أنواع المعارف، حيث قد انتهينا من الحديث عن النوع الأول وهو الضمير.

وقد اختلف النحويين في أيهما أعرف أهو الضمير أم العلم، وأغلب النحويين يرون أن الضمير أعرف من العلم، ولذلك فقد بدأ به ابن هشام يرحمه الله وابن مالك في ألفيته، وكثير من النحويين يبدؤن بالضمير.

و العلم أمثلته كثيرة مثل: محمد، عبدالله، سلطان، زين العابدين، الرياض، مكة، مصر، القبائل وهكذا، كلها أعلام.

عند تعريف العلم يجب تقسيمه إلى قسمين، لأنه لا يوجد تعريف واحد يشمل هذين القسمين:

قسم يسمونه بالعلم الشخصي.

وقسم يسمونه بالعلم الجنسي.

حتى منزلتهما في التعريف يعني كونهما في المنزلة الثانية من المعارف فيه نظر، لأن العلم الشخصي هو فعلا في المنزلة الثانية من المعارف، أما العلم الجنسي فهو قريب من النكرة.

١/ العلم الشخصي: تعريفه: هو اسم يعين مسماه تعيينا مطلقا.

شرح التعريف: قوله اسم هذا يخرج الفعل والحرف، فإنها لاتكون أعلاما، صحيح أنه قد يسمى بالفعل مثل كلمة شمر، لكن ليس الفعل (ضرب يضرب اضرب) إلى آخره ليست أعلاما إلا أن تسمي بها، إذا سميت بها انتقلت من باب الفعلية إلى باب العلمية.

يعيّن: يعني يحدد، مسمّاه: يعني ما وضع اسما له، وهذا يخرج النكرة فإن النكرات كلها لا تعين مسماها، فمثلا كتاب لا يعين كتابا بعينه، ومثلا رجل لا يعين رجلا بعينه، امرأة لا تعين امرأة بعينها، فإذن العلم اسم يعين مسماه، فالذي يعين مسماه تدخل معه جميع أنواع المعارف، فإنها تعين مسماها، فكيف نخرجها؟ قال:

قوله تعيينا مطلقا تخرج المعارف، كيف؟ قال: تعيين العلم لمسماه لا يحتاج إلى قرينة، وتعيين بقية المعارف إلى مسماها تحتاج إلى شيء آخر، فمثلا تعيين الضمير لمسماه ضمير متكلم، ضمير مخاطب، ضمير غائب، لا يعين إلا بأمرين هما: مثلا الإضمار والتكلم أو الإضمار والخطاب أو الإضمار والغيبة.

مثلا الأسماء أسماء الإشارة تعين مسماها لكن بواسطة الإشارة، فإنك تقول هذا وهذه، وتقول هذان، تقول هؤلاء، أما العلم فإنك بمجرد ما تقول محمد ينصرف الذهن إلى ما بينك وبين المخاطب عهد فيه، ينصرف إلى محمد المعروف بينك وبين المخاطب.

الأسماء الموصولة مثلا هي من أنواع المعارف وهي تعين مسماها لكن بواسطة الصلة، فإنك تقول مثلا جاء الذي، الذي اسم موصل لم يتم إلى الآن وليس له معنى، حتى تقول جاء الذي قابلته أمس، حينئذ يتعرف، فإذن المعارف كلها تخرج من قولنا في التعريف" تعيين "مطلقا، لأن العلم يعين مسماه تعيين مطلقا.

وعندنا مشكلتان يسيرتان سنحلهما إن شاء الله تعالى، هناك من يقول إذا قلت شمس، كلمة شمس معرفة وإلا نكرة، إنها نكرة، وإذا قلت قمر كلمة قمر معرفة وإلا نكرة إنها نكرة، هل تعين مسمى شمس شمس حينما تقول شمس نعم وينصرف الذهن إلى هذه الشمس المعروفة، وحين تقول قمر ينصرف الذهن إلى القمر المعروف، فكيف تقول أن قولك اسم يعين مسماه

يخرج النكرات مع أنه تعين هذا.

والجواب عن هذا أن يقال إن كلمة شمس في الأصل لم توضع لتكون دالة على فرد واحد، ولكنها وضعت لتدل على كل كوكب يظهر نهارا فيزيل نوره ظلام الليل، لكن ما صار عندنا إلا واحد من هذا الجنس، يعني كان الأصل أن يكون لجنس كثير يدخل تحته أفراد، ولكن لم يأت عندنا إلا واحد من هذا ومثله كلمة قمر.

يسأل سائل فيقول: أنت تقول في تعريف العلم الشخصي أنه يعين مسماه تعيينا مطلقا، لنفرض أن عندك ثلاثة أشخاص أو أكثر كل واحد اسمه محمد، حينما تقول يا محمد من يستجيب لك من هؤلاء الثلاثة؟ من يجيب نداءك؟ أليس المتخيل أن كل واحد من الثلاثة سيجيبك؟

الجواب بلى، إذن عندك مشكلة في التعريف، ما هي؟ قال أنت تقول إنه يعين مسماه تعيينا مطلقا وهذا لم يعين مسماه تعيينا مطلقا.

والجواب عن هذا أن يقال: إن الأصل في وضع الأعلام لتعين مسماها، الأب حين سمى ولده محمدا، أو سماه عبدالله، أو سماه أبا بكر، أو نحو ذلك ماذا كان يقصد؟ هل كان يقصد تعيينه من بين إخوانه وتحديده بحيث ينطلق عليه هذا الاسم، أم كان يقصد أن يكون عاما؟ الجواب بدون شك أنه يقصد تعيينه من بين إخوانه، ولذلك فإن الغالب والأعم في أن الرجل لا يسمي ولدين أو بنتين من أولاده باسم واحد، حتى يكون التعيين موجودا عندما يريد شيئا من أحد من هذين الشخصين أو من هؤلاء الأشخاص.

أقسام العلم الشخصي وأغراضه:

ينقسم من حيث المسمى إلى قسمين:

القسم الأول: هم أولو العلم، يعني الذين يصح أن يكون منهم علم، أو أن يكونوا ذوي علم كالأناسي والجن.

وقالوا أولو علم ليدخل معهم الله عز وجل لأنه هو العالم، ولم يقولوا ذوي العقل لأن الله سبحانه وتعالى لم يسمِ نفسه بالعاقل، ولكنه سمى نفسه بالسميع العليم، فلذلك أطلقوا على القسم الأول بأنه ذوو العلم.

أمثلته: هل يمكن أن يكون الجن من ذوي العلم؟ نعم، وذلك أن الرسول خاطبهم وتكلم معهم، فهو تكلم مع ذوي العلم الذين يحصل منهم علم، بل إنه فضلهم في بعض المواضع على صحابته رضي الله عنهم، إذ قال لما قرأ عليهم سورة الرحمن، فكان كلما قرأ { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } قال الجن: ولا بشيء من آيات ربنا نكذب، لكنه لما قرأها على الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يقولون هذا الكلام، فقال لهم : (إخوانكم من الجن أفقه منكم) أو كما قال، فلما سألوه كيف كانوا أفقه منا؟ أخبرهم بأنهم كانوا حينما كنت أقرأ كانوا يقولون كذا وكذا، إذن هم من ذوي العلم الجن والإنس، والله سبحانه قبلهم من ذوي العلم، ولا ضير أن يكون ذوي العلم من الذكور كـ"محمد"، أو من الإناث "فاطمة أو خديجة أو صالحة".

القسم الثاني: غير ذوي العلم، وذلك في أنواع كثيرة، هو أشياء تؤلف، وقد عدد لها المصنف أمثلة فقال منها أعلام القبائل كقرن مثلا، أو قريش أو ثقيف أو هذيل أو ما شاكل ذلك، هذا بالنسبة للقبائل، وكذلك يطلق على ما يؤلف من البلدان، كمكة والمدينة والرياض والقاهرة وبغداد وما شاكلها هذه أعلام على البلدان، وهي من النوع الثاني من المسميات وهي الأشياء التي تؤلف، هل يوجد غير هذا ؟ نعم قد سمى بعضهم أسماء للخيول وسمى بعضهم أسماء للإبل وسمى بعضهم أسماء للحمير، وللكلاب وللغنم وللبقر .... وقد مثل المصنف بعدد من الأمثلة فقال: سموا بعض الخيول (لاحقا) ومن الإبل سموا (شذقم)، وتعلمون أن ناقة النبي اسمها القصواء، بعضهم يسمي سيفه، ومن البقر سموا (عرار)، وكذلك سموا من الغنم

واحدة سموها (هيلة)، وهذا ينقله عن الكلام العربي الفصيح المعتد به، وكذلك سمي من الكلاب (واشق)، وكلبة (براقش)، الحاصل أن الحيوانات كلها قد وضع لها أسماء، لو أحد عنده عدد من السيارات وسمى واحدة منها بسم كذا، وواحدة بسم كذا، لا مانع ليميزها عن بعضها، لأنها مما يؤلف.

تقسيم العلم الشخصي من حيث الوضع:

لما وضعوا هذه الأسماء قال الوضع قسمان: إما مرتجل وإما منقول.

القسم الاول مرتجل يعني وضع من أول الأمر ليكون علما يعني لم يوضع لغيره ثم نقل إلى باب العلم، وهذا كما يذكر النحويين في تمثيلهم قليل، حتى أنهم لا يذكرون في كثير من الأحيان إلا اسمين، يعني اسمان مرتجلان موضوعان وضعا ليكونا اسمين ويمثلون بـ"أُدَد" بالنسبة للرجال وبسعاد بالنسبة للإناث، ويقولون هذان العلمان مرتجلان، يعني وضعا من أول الأمر ليكونا علمين، ولم يوضعا ليكونا لشيء آخر ثم نقلا فصارا علمين، هذا القسم الأول وهو ما يسمى بالمرتجل.

القسم الثاني المنقول وهذا كثير، المنقول قد يكون منقولا عن مصدر، وقد يكون منقولا عن اسم ذات، وقد يكون منقولا عن وصف، والوصف هذا إما أن يكون اسم فاعل، وإما أن يكون اسم مفعول، وإما أن يكون صفة مشبهة، وإما أن يكون أفعل تفضيل، وإما أن يكون صيغة مبالغة، هذا بالنسبة للوصف، وقد يكون منقولا عن فعل ماض أوفعل مضارع.

والسؤال: يكون هل يمكن أن يكون منقولا عن فعل أمر؟ بعضهم يقر ذلك ويقول نعم، وبعضهم ينفيه ويقول لا يمكن أن يكون منقولا عن فعل أمر، فتسأله: لماذا لا يمكن أن يكون منقولا عن فعل أمر؟ قال لأن في كل فعل أمر ضميرا مستترا، فإذا نقله عن فعل الأمر فهو ليس منقولا عن فعل وإنما هو منقول عن جملة، لأنه مكون من فعل وفاعل (والفعل والفاعل جملة)، بعضهم يرى أن لا يمكن أن يكون أصل العلم فعل أمر فقط، بل لا بد أن يكون فعل الأمر مع فاعله وحينئذ يكون جملة.

بقي من الأعلام المنقولة ما كان منقولا عن جملة اسمية وإلا فعلية، الجملة الفعلية وردت التسمية بها عند العرب، والجملة الاسمية لم يرد التسمية بها عند العرب، ولكن النحويين أجازوا التسمية بالجملة الاسمية قياسا على ما ورد من التسمية بالجملة الفعلية.

الأمثلة: أولاً : الأعلام المرتجلة يعني التي وضعت من أول الأمر لتكون أعلاما أمثلتها التي يذكرها النحويون مثالان فقط، لكن قد يوجد غيرهما وتركوه اكتفاء بهذين المثالين، أما العلمان اللذان يذكرهما النحويين هما" أُدد" لرجل وسعاد لامرأة.

ثانيا الأعلام المنقولة فهي:

١- ما كان منقولا عن مصدر: إذا قلت ضرب يضرب ضربا، ضربا هذا هو المصدر، أقبل يقبل إقبالا كلمة إقبال مصدر، حسن يحسن تحسينا هذا مصدر، زاد يزيد زيدا أو زيادة هذا مصدر، فإذا سمى شخص ولده بفضل معناه أنه سماه بمصدر يعني نقل من المصدر فسمى به ولده، سماه إقبال هذا مصدر سماه تحسينا هذا مصدر هكذا زيد هذا مصدر وما شاكل ذلك.

٢- العلم المنقول من ذات: اسم الذات أو اسم العين المقصود به أن يكون أطلق على شيء غير الإنسان، ككلمة أسد أو ثور أو باب أو جدار أو طاولة أو نحو ذلك، لنفرض أن شخصا خف عقله فسمى بنته منضدة أو سمى ولده باب، أقول له إنك سميت ولدك باسم عين أو اسم ذات، يعني نقلت من الذات هذه فسميت، أما أن يسمي ولده بأسد أو ثور أو كلب فهذه موجودة بكثرة، كل هذه أشياء منقولة عن أسماء ذوات لم تكن أعلاما، ثم نقلت فصارت أعلاما.

٣- قد يكون منقولا عن وصف: والوصف قد يكون اسم فاعل مثل صالح أو مسلم أو فالح أو ضارب أو سالم أو ما شاكل

ذلك، أو قد يكون منقولا من اسم مفعول مثل محمد أو محمود أو مكرم، أو نحو ذلك سمى ولده بشيء من هذا الوصف وهو اسم المفعول، مثلا الصفة المشبهة: كلمة حسن يقولون هذه صفة مشبهة، كلمة شهم وكريم وبخيل هذه كلها صفات مشبهة، نقول أيضا سمى ولده أكرم أو أحسن أو أطول هذه كلها أسماء تفضيل في الأصل، لكنها نقلت من اسم التفضيل، أيضا يمكن أن يسميه عباس هذه صيغة مبالغة من العبوس عبس فهو عباس أي شديد العبوس.

٤-٥ ومن التسميات أيضا أن يسمي بالفعل الماضي: مثل أن يسمي، ب (شمّر) في الأصل فعل ماضي، كذلك قد يسمي بالفعل المضارع وهذا كثير وموجود مثل تغلب ويزيد ومثل يشكر وما شاكل ذلك.

٦- **أما التسمية بفعل أمر**، فإن بعضهم لا يقرها وأنه يرى أنها من باب التسمية بالجملة، لكن قد وجد شاهد من الشعر ورد فيه: اسم صحراء اسمها اصمت وقد جاء بها ممنوعة من الصرف مجرورة بالفتحة نيابة عن الكسرة في بيت من الشعر،

٧- ورد من التسمية بالجملة الفعلية: ورد تأبط شرا، وشاب قرناها، ومن الجملة الإسمية: لم يرد عن العرب لكن يجوز أن تسمي ولدك الشهاب مضيءُ.